مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

العدد الرابع عشر
1997

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1427 من ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم 1997 أفرنجي

دور قبائل اليمن في فتح العراق وفي نشأة المدن العربية الإسلامية فيه

د. خليل شاكر حسين الزبيدي
كلية التربية - جامعة الفاتح

مقدمة:

يتناول البحث إسهام قبائل اليمن في حروب الفتح التي خاضها الجيش العربي الإسلامي في جبهة العراق والمشرق، والجهود التي بذلها أهل اليمن في سبيل تحرير العراق من التسلط الفارسي. فقد قامت قبائل اليمن بدور فعال مع طلائع الفتح التي قادها القائد المظفر خالد بن الوليد عقب القضاء على حركة الردة في الجزيرة العربية، إذا أرتأت القيادة العربية الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) أن يتوجه خالد بن الوليد نحو العراق متخذاً طريق الأبلة مساراً نحو تحقيق هدف الفتح العظيم. وتمكنت القوات العربية الإسلامية من كسر شوكة القوات الفارسية في مواقع عسكرية عديدة كان لقبائل اليمن حضور مؤثر فيها؛ من معارك ذات السلاسل والمذار وحتى معارك الحيرة

والأنبار وعين التمر. وعندما قررت الخلافة الإسلامية إرسال القائد خالد بن الوليد لإسناد الجهد العسكري في الجبهة الشمالية وهي جبهة الشام، استبقى القائد خالد بن الوليد قسماً من المقاتلين اليمنيين لدعم الوجود العسكري العربي الإسلامي في جبهة العراق، والعمل على الحفاظ على المكتسبات العسكرية التي حققتها القوات الإسلامية في ظل قيادة خالد بن الوليد، وبرحيل خالد بن الوليد من جبهة العراق إلى غير رجعة، بدأت مرحلة جديدة بتولي قيادة الجبهة الشرقية القائد المثنى بن حارثة الشيباني، الذي عرفته هذه الجبهة بشدة مراسه في قتال الفرس قبل قدوم خالد بن الوليد، حيث ولاه الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) مهمة قتال الفرس من قبل. وبوفاة الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) تولى قيادة الدولة العربية الإسلامية الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي حرص منذ الأيام الأولى من توليه للخلافة على تعزيز جبهة العراق بالمقاتلين، خاصة بعد تحقيق الانتصارات الباهرة في جبهة الشام في معارك أجنادين واليرموك التي تمخضت عن تحرير بلاد الشام بأكملها. أصبح اهتمام الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) منصباً على دعم جبهة العراق، بعد أن رجحت كفة الميزان العسكري لصالح الدولة العربية الإسلامية في الجبهة الشمالية. وبناء عليه عين الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قائداً جديداً على جبهة العراق وهو أبو عبيد الثقفي، واستطاعت هذه القيادة الجديدة أن تحقق الانتصارات على قوات الدولة الساسانية في وقعات عسكرية، غير أنها أصيبت بنكسة عسكرية في معركة الجسر عام 13هـ، حيث استشهد القائد أبو عبيد الثقفي وتولى المثنى بن حارثة الشيباني قيادة الجبهة من جديد ـ لم تفت هذه الانتكاسة العسكرية في عضد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، بل إنه واصل بعزيمة المؤمن تعزيز جبهة العراق، فكانت القبائل اليمنية أول القبائل العربية المبادرة والمستجيبة لنداء الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمسير للعراق وعلى رأسها قبيلة بجيلة، ويتزعمها جرير بن عبد الله البجلي. وتمكنت القوات العربية الإسلامية بقيادة المثنى بن حارثة من هزيمة القوات الفارسية في معركة البويب حيث تم إزالة آثار وقعة الجسر وإعادة ثقة المقاتل العربي بنفسه. وشهدت جبهة العراق تطوراً مهماً إذ عينت السلطة المركزية العربية الإسلامية في

المدينة قيادة جديدة تمثلت بشخص الصحابي سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) لمواجهة الفرس والعمل على إزاحتهم من العراق. تعد هذه المرحلة انعطافاً حاسماً لصالح القوات العربية الإسلامية إذ رمت القيادة العربية الإسلامية بقدر كبير من ثقلها العسكري لحسم الصراع لصالح العرب المسلمين في جبهة العراق. كان لقبائل الأزد وكندة والنخع وخثعم وتميم وبجيلة اليمنية دور كبير في تعزيز الجهد العسكري العربي الإسلامي، وفي تحقيق النصر الكبير في معركة القادسية واستكماله في فتح المدائن عاصمة الدولة الساسانية. ثم أسهمت قبائل اليمن في معارك جلولاء ونهاوند التي قصمت ظهر الدولة الساسانية، والتي بها لم تقم لدولة الفرس قائمة، وانهارت مقاومتهم وانفتحت الأراضي الإيرانية أمام القوات العربية الإسلامية. وعندما وجدت القيادة العربية الإسلامية الحفاظ على المكتسبات العسكرية ضرورياً قررت بناء مدن جديدة في العراق هي بمنزلة معسكرات لاستقرار المقاتلة وعيالاتهم، ذلك لأن القبائل اليمنية قد اصطحبت معها نساءها وذراريها، وهذا يدل على العزم الأكيد على النصر، فعند ذاك تأسست مدينة البصرة بقيادة الصحابي عتبة بن غزوان، وشيدت مدينة الكوفة على يد الصحابي سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، واستقرت قبائل اليمن في هذين المصرين وأسهمت في تطورهما. وكان لأهل اليمن دور بارز في أحداث البصرة والكوفة السياسية والاجتماعية والفكرية.

أولاً: إسهام قبائل اليمن في طلائع التحرير بقيادة خالد بن الوليد:

كان الانتهاء من قمع حركة المرتدين في بلاد العرب إيذاناً ببدء العمليات العسكرية في سبيل فتح العراق. فقد كتب الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى القائد خالد بن الوليد يشير إليه بالتوجه إلى العراق معيناً له المسار الجغرافي الذي يتبعه وهو جنوب العراق من ناحية الأبلة[1]. وحدد الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الحيرة هدفاً أول لتحرير العراق؛ حتى يكون

(1) محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، ج3 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4 القاهرة: 1964، ص343.

المجال الفاصل ما بين نهر الفرات وعاصمة الدولة العربية الإسلامية منطقة آمنة وخاضعة للدولة العربية الإسلامية[2]. ويجدر بنا القول أن المقاتلين من أهل اليمن، ممن حسن إسلامهم ولم يرتدوا عنه صاحبوا القائد خالد بن الوليد في عملياته العسكرية المظفرة. وكانت أولى المعارك التي اصطدم بها خالد بن الوليد مع القوات الفارسية هي معركة ذات السلاسل في كاظمة سنة 12هـ، وكان يقود القوات الفارسية هرمز[3].

وتذهب رواية بالقول إن الفرس استخدموا الفيلة في هذه الوقعة[4] ولكننا نستبعد ذلك؛ لأن القوات العربية الإسلامية قد قاتلت الفرس وهم يستخدمون الفيلة في معركة الجسر. ويعد ذلك أسلوباً عسكرياً فارسياً ولو أن المسلمين كانوا مسبوقين بقتال الفيلة لكان لهم تدبير وخطط عسكرية معها عند التصدي للجيش الفارسي في معركة الجسر كما حدث، وإن أحسن معالجة وضعها في معركة القادسية التي لحقت معركة الجسر، وهذا لا يعني بالضرورة أن العرب، وخاصة أهل اليمن بعيدون عن أساليب القتال عند الشعوب الأخرى، فقد سبق للأحباش أن استخدموا الفيلة عند غزوهم لليمن واستخدمها القائد أبرهة الحبشي في حملته العسكرية ضد مكة عام 570م[5].

وعلى أية حال فإن القوات العربية الإسلامية اشتبكت أثناء تقدمها شمالاً مع قوات فارسية جديدة بقيادة قارن بن قريانس في معركة المذار، وتمكنت القوات العربية من دحر القوات الفارسية وقتل قائدها قارن بن قريانس، كما حدث في هزيمتهم في معركة ذات السلاسل[6]. وحرر العرب المسلمون هذه

---

(2) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت:279هـ)، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1978، ص243.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص348.

(4) شكري فيصل/ حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري ط3، دار العلم للملايين، بيروت 1974، ص63.

(5) أبو محمد عبد الملك بن هشام (ت:213هـ) السيرة النبوية ج1، تحقيق: محمد فهمي السرجاني المكتبة التوفيقية، القاهرة، 1978، ص47.

(6) الطبري، المصدر السابق، ج3 ص351 وما يليها.

المناطق وبدأوا ينظمون إداراتها بتعيين العمال وفرض الجزية والخراج على أهلها. وبغية إيقاف الزحف المظفر للجيش العربي الإسلامي أرسلت القيادة الفارسية جيشاً آخر بقيادة الأندرزغر ثم دعمته بتعزيز عسكري يقوده بهمن جاذويه. واتخذت القوات الفارسية من الولجة موضعاً لتجمعها، بيد أن إصرار العرب المسلمين على تشتيت القوات الفارسية، وثقة المقاتلين العرب المسلمين بوعد الله سبحانه وتعالى بنصر المؤمنين ونصرة دينه الحنيف قد دفعت القوات العربية الإسلامية على إحلال الهزيمة بهذا الحشد الجديد للقوات الفارسية في معركة الولجة[7]. بعد ذلك اتجهت القوات العربية صعوداً نحو أليس الصغرى، حيث بلغتهم الأخبار عن وجود حشد فارسي جديد هدفه إعاقة جهودهم في تحرير العراق، ويترأس القوات الفارسية هذه المرة القائد بهمن جاذويه الذي تمكن من الإفلات من القوات العربية الإسلامية في معركة الولجة.

ولم يكن حظ الفرس في هذه المعركة بأحسن من سابقاتها من المعارك، فقد اندحرت القوات الفارسية فاسحة المجال للعرب المسلمين بمواصلة تقدمهم المظفر إلى الشمال[8]، ولم يغفل القائد خالد بن الوليد بأن يبعث بأنباء هذه الانتصارات إلى خليفة المسلمين أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ويطلعه على آخر ما استجد في جبهة العراق منتظراً بذلك توجيهات الخليفة[9]. وكعادته في سرعة المناورة والحركة فإن القائد خالد بن الوليد لم يكن ليفسح المجال للقوات الفارسية المهزومة لكي تعيد تنظيم صفوفها، فما إنْ علم بوجود حشد عسكري آخر في أمغيشيا حتى قصده من فوره وتمكن من دحره[10]. هذا وتمكن الجيش العربي الإسلامي من إحراز نصر جديد على الفرس في موقعة يوم المقر وفم الفرات. وبهذا انفتح الطريق أمام القوات العربية الإسلامية نحو الحيرة[11]. وتمكنت القوات العربية الإسلامية من تحرير مدينة الحيرة عندما دخل زعماؤها

---

(7) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص353 وما يليها.

(8) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص355 وما يليها.

(9) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص359.

(10) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص358.

(11) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص359 وما يليها.

في طاعة الدولة العربية الإسلامية أمثال هاني بن قَبيصة الشيباني وإياس بن قبيصة الطائي، والحال هذا فقد وضع هؤلاء الزعماء كل إمكاناتهم في خدمة القوات العربية الإسلامية الأمر الذي أدى إلى توسيع نطاق انتشار النفوذ العربي الإسلامي، وبذلك تتوجت الجهود العسكرية العربية بتحرير المناطق الواقعة حول الحيرة وتحرير الأنبار[12]. وتأسيساً على ذلك، فإن القائد خالد بن الوليد ومن موقع القوة كاتب القيادة الفارسية واضعاً إياهم أمام الحقيقة الجديدة، ومنذرهم من الاستمرار في الوقوف أمام كتائب الفتح العربية الإسلامية[13]. توجه القائد خالد بن الوليد بعد هذه النجاحات العسكرية نحو تحرير عين التمر، حيث حشد الفرس قوات لهم بقيادة مهران بن بهرام، ولم تصمد القوات الفارسية أمام اندفاعات القوات العربية فحلت بها الهزيمة وبحلفائها، ولم ينفعهم التجاؤهم إلى الحصن، إذ اقتحمته القوات العربية ودحرت من فيه[14]. عين خالد بن الوليد القائد عويم بن الفاصل الأسلمي عاملاً على عين التمر لتنظيم شؤون المنطقة، جرياً على عادة المسلمين في ترك المسالح وتعيين العمال لضبط المناطق المفتوحه وتمشية شؤونها[15].

بعد ذلك قصد خالد بن الوليد تصاحبه جحافله المظفرة إلى دومة الجندل لوجود حشد فارسي. وتمكن العرب المسلمون من هزيمة هذا الحشد[16]. واستجمع الفرس قواتهم وقوات حلفائهم في العراق وتحشدوا من جديد في مناطق الحصيد والخنافس، وبادرهم خالد بن الوليد بعبقريته العسكرية الفذة قبل أن يتقوى جمع الفرس وحلفائهم، فقسم القوات العربية الإسلامية إلى ثلاث فرق. جعل القعقاع بن عمرو التميمي يقود فرقة وجعل هدفه منطقة الحصيد.

---

(12) البلاذري، المصدر السابق، ص245.

أحمد بن يعقوب البغدادي (ت292هـ) تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، بيروت، د. ت، ص131.

(13) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص370، وما يليها.

(14) البلاذري، المصدر السابق، ص248.

(15) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص378.

(16) البلاذري، المصدر السابق، ص251.

وترأس الفرقة الثانية أبو ليلى بن فدكي وهدفها الخنافس. وقاد خالد بن الوليد الفرقة الثالثة وقصد مواضع تجمع القوات الفارسية فداهمها[17]. استطاع القعقاع قتل القائد الفارسي زرمهر وتشتيت جمعه، أما عن أبي ليلى بن فدكي فقد وجد الميدان خالياً من الجيش الفارسي بقيادة المهبوذان، إذ كان منسحباً نحو المصيخ، كاتب خالد بن الوليد قواده بالاجتماع إليه ثانية وهدفهم المصيخ حيث اقتحمت القوات العربية الإسلامية معسكر الفرس في ثلاثة اتجاهات، فأذهلت المفاجأة الفرس ودب بهم الذعر والهزيمة. ولم يدع خالد بن الوليد الفرصة أمام الفرس لتجيمع قواتهم، فقد باغتهم في منطقة البشر والثني[18]. وبذلك تم فتح جنوب العراق ووسطه وضفاف نهر الفرات، فأصبحت مناطق خاضعة لسيادة الدولة العربية الإسلامية بجهود المقاتلين العرب ومنهم أبناء اليمن.

ثانياً: جهود قبائل اليمن في ظل قيادة المثنى وأبي عبيد الثقفي:

نظراً لحراجة الموقف العسكري للجيوش العربية الإسلامية في جبهة الشام، كتب الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى خالد بن الوليد يأمره بالتوجه إلى جبهة الشام لحاجة القوات العربية لوجوده ولعبقريته الحربية. تولى قيادة جبهة العراق المثنى بن حارثة الشيباني بعد رحيل خالد بن الوليد الذي سوف لن تراه سوح المعارك مرة ثانية في العراق[19] بوفاة الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) تولى قيادة الدولة العربية الإسلامية الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، فحرص جاهداً منذ توليه الخلافة إلى استكمال فتح العراق، وذلك بتعزيز القدرات العسكرية للقوات العربية الإسلامية الموجودة في الجبهة الشرقية، وندب الخليفة عمر (رضي الله عنه) العرب المسلمين للالتحاق بجبهة العراق. وكان أول الملبين لنداء الخليفة عمر (رضي الله عنه) هو أبو عبيد الثقفي الذي أصبح القائد الجديد للجيش العربي الإسلامي في العراق[20]. ولا

(17) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص380.

(18) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص382.

(19) البلاذري، المصدر السابق، ص251.

(20) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص444.

بد من القول إنّ أبا عبيد الثقفي لا يمتلك مثل خبرة المثنى بن حارثة الشيباني في قتال الفرس وبما يتعلق بأساليبهم العسكرية. والحال هذا فإننا لا نمتلك معلومات دقيقة حول عدد المقاتلين اليمنيين الذين شاركوا في ظل قيادة أبي عبيد الثقفي، ولكن كل الذي نعرفه هو أن حضور المقاتلين اليمنيين كان مؤكداً رغم رحيل نسبة مهمة منهم مع جيش خالد بن الوليد إلى جبهة الشام. هذا ومما تجدر إليه الإشارة أن الفرس قد تشجعوا بعد رحيل خالد بن الوليد من العراق، وبدأوا يعبئون قواتهم ويكاتبون حلفاءهم لكي يتمردوا على المسلمين.

وبالفعل حشد الفرس قواتهم في النمارق واصطدم العرب المسلمون بهم بقيادة أبي عبيد والمثنى، واندحر جميع الفرس، وأسر القائدان الفارسيان جابان ومردانشاه. وحاول الفرس تجميع قواتهم في السقاطية بكسكر. بيد أن القوات العربية الإسلامية كانت لهم بالمرصاد فشتت قواتهم ولاحقت حشودهم في مناطق باروسما والزوابي ونهر جوبر والزاب وهزمتها[21]. ونظرت القيادة الفارسية إلى النجاحات العسكرية بعين الجد، فحشدت قوات كبيرة واختارت بهمن جاذويه قائداً عاماً عليها نظراً لخبرته في قتال العرب المسلمين[22].

ونرى من المناسب قوله في هذا الباب أن أبا عبيد الثقفي قد اندفع لملاقاة القوات الفارسية خاصة بعد الانتصارات العسكرية التي حققها. وكان من المفروض أن يستعين بالخبرات القتالية التي كان يمتلكها المثنى بن حارثة الشيباني وسليط بن قيس وغيرهم ممن تمرس على قتال الفرس، يضاف إلى ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان يحرص على المشاورة في اتخاذ القرار إيماناً بمصلحة المسلمين كان قد أوصى أبا عبيد الثقفي أن يشاور القادة المسلمين وأن لا ينفرد لوحده باتخاذ القرارات[23].

تحشدت القوات الفارسية في قس الناطف على الفرات بينما اتخذ العرب المسلمون موضع المروحة مكاناً لتجمعهم، ولم يعد غير نهر الفرات يفصل بين

(21) البلاذري، المصدر السابق، ص251.

(22) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص455.

(23) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص454.

الجيشين. جلب الفرس معهم الفيلة، وبادر قائدهم بهمن جاذويه إلى الاتصال بالمسلمين وخيّرهم بين العبور إليهم أو أن يعبر العرب إلى ضفة النهر حيث توجد قوات الفرس. عد القائد أبو عبيد الثقفي طلب القائد الفارسي بهمن جاذويه تحدياً لا يمكن احتماله فقرر العبور بالقوات العربية رغم معارضة المثنى بن حارثة الشيباني وسليط بن قيس، وبهذا أصبحت القوات العربية بين القوات الفارسية ومن ورائها عمقها الجغرافي ونهر الفرات الذي يعد المانع الطبيعي[24]. واصطدمت القوتان العربية الإسلامية والفارسية وكانت بوادر الظفر تلوح في أفق المعركة لصالح الجيش العربي الإسلامي.

بيد أن سير المعركة أصبح في صالح الفرس عندما استشهد القائد أبو عبيد الثقفي وهبطت معنويات المقاتلين العرب. وبهذا اندفعت القوات الفارسية ضاغطة على القوات العربية الإسلامية، وزاد من اضطرابها حينما عمد أحد المقاتلين إلى الجسر فقطعه، وبذلك سد على المسلمين خط الرجعة، وتمكن القائد المثنى بن حارثة الشيباني من ربط الجسر مرة ثانية وتأمين انسحاب بقية القوات الإسلامية. وأقام مع قواته العربية في الضفة الغربية من الفرات في منطقة المروحة. وكتب بما جرى للخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)[25]. ومع ذلك فإن هذه المعركة زادت من إصرار القيادة العربية الإسلامية للمضي قدماً لتعزيز جبهة العراق. وكانت أولى القبائل العربية التي استجابت لنداء الخليفة هي قبيلة بجيلة بقيادة جرير بن عبد الله البجلي، وكان مسيره نحو العراق سنة 13هـ بين معركة الجسر والبويب[26]. ويمكننا القول إنّ الفضل يعود للقبائل اليمنية لتعزيز الجهد العسكري العربي الإسلامي في جبهة العراق في هذه الظروف، وخاصة بعد نكسة وقعة الجسر.

وإزاء هذا الحال فإن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) سمح

---

(24) أبو حنيفة الدينوري (ت:282هـ) الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، القاهرة، 1960، ص113.

(25) الدينوري، المصدر السابق، ص114.

(26) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص464.

للمقاتلين من أهل اليمن الذين أظهروا التوبة وحسن إسلامهم بعد ارتدادهم عن الإسلام، وأرادوا أن يكفروا عن خطيئتهم بالجهاد في سبيل الله في سوح الوغى[27]. هذا وتوالت القبائل اليمنية على جبهة العراق مثل قبائل الأزد وخثعم حيث التحقت بالمثنى بن حارثة الشيباني[28] واستنفر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أعماله بحشد المقاتلين وذلك بقوله: «احملوا العرب على الجد إذا جد العجم فلتقوا جدهم بجدكم»[29] وأن لا يدعوا فارساً إلا وجهوه. وبهذا توجهت قبائل النخع مصطحبة النساء والأطفال إلى جبهة العراق مؤكدين إصرارهم بتحقيق النصر[30]. ونجد من الضروري أن نسلط الضوء على مسألة مهمة تتعلق بنفور قبائل اليمن من جبهة العراق، وأن القبائل العربية ومنها قبائل اليمن كانت تفضل المسير إلى جبهة الشام بدلاً من جبهة العراق[31]. والمرجح عندنا أن القيادة العربية الإسلامية اهتمت بجهة الشام منذ عصر الرسالة، حيث بعث الرسول محمد (ﷺ) حملات عسكرية إلى جبهة الشمال، وسار الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) على نفس سياسة الرسول محمد ﷺ، لذلك نراه عندما وجد حاجة جبهة الشام إلى حضور القائد خالد بن الوليد استدعاه من جبهة العراق ووجهه إلى الشام. وبعد تحقيق النصر المؤزر على الروم في معركة اليرموك أصبح الميزان العسكري في صالح الدولة العربية الإسلامية في جبهة الشام، وأصبحت جبهة العراق لها الأولوية. فلا غرابة أن نجد أن تركز الحشد العسكري بدأ مباشرة بعد معركة الجسر، ثم توالى توافد القبائل العربية وخاصة قبائل اليمن مثل مذحج ونخع وكندة وهمدان، والجدير بالذكر أن قبائل اليمن قد قصدت جبهة العراق مع النساء والذراري وهم عاقدون العزم على الفتح والاستقرار، فقد كانت قبيلة بجيلة تشتمل على ألف امرأة والنخع هي الأخرى

---

(27) نزار عبد اللطيف الحديثي، أصل اليمن في صدر الإسلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1978، ص137. ينظر كذلك الطبري، المصدر السابق، ج3، ص489.

(28) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص464.

(29) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص478.

(30) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص484.

(31) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص444.

قد اصطحبت معها حوالي الألف امرأة[32]. هذا واجتمعت للمثنى بن حارثة الشيباني قوات كبيرة تمكن بها أن يحرز نصراً حاسماً على القوات الفارسية بقياده مهران في البويب، وذلك بفضل حسن قيادته وتعبئته للقوات العربية. وقتل القائد الفارسي مهران وقضي على معظم القوات الفارسية، وبهذا رجع الاعتبار للمقاتل العربي المسلم، وأصبحت كفة الميزان العسكري لصالح العرب وبيدهم المبادرة العسكرية. وتسمى معركة البويب بيوم الأعشار، وذلك لوجود مئة من المقاتلين العرب الذين تمكن كل واحد منهم أن يقتل عشرة من المقاتلين الفرس، ناهيك عن بقية المقاتلين الذين قتلوا دون العشرة من الفرس[33]. وتبع العرب المسلمون القوات الفارسية المدحورة حتى السيب وساباط. وعاد نفوذ الدولة العربية بعد معركة البويب على المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات. وتحقيقاً لغرض بسط النفوذ العربي الإسلامي على هذه المناطق المفتوحة. بث المثنى بن حارثة الشيباني المسالح حتى يحافظ على المكاسب العسكرية المتحققة. ثم اتبع سياسة الغارات العسكرية المفاجئة على تجمعات الفرس العسكرية، حيث قام بغارات على سوق الخنافس، وعلى الكبات، ووصلت غاراته إلى صفين في أعالي الفرات[34].

ثالثاً: دور قبائل اليمن في معارك القادسية وجلولاء ونهاوند:

أدركت القيادة الفارسية أنها أمام جهد عسكري منظم، ويجب عليها أن تتخذ التدابير العسكرية اللازمة لإيقاف تقدم القوات العربية الإسلامية الظافرة، فبدأوا يحشدون قواتهم وعلى رأسهم ملكهم يزدجرد الذي كان يقيم في المدائن. وبالفعل انتفض على المسلمين المعاهدون والسكان الذين أعطوا الجزية وصالحوا العرب المسلمين، وشعر العرب المسلمون ساعتها أنهم مقبلون على تطور خطير يعد له الفرس العدة. أبلغ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله

(32) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص460.

(33) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص468.

(34) البلاذري، المصدر السابق، ص254 وما بعدها.

عنه) بما استجد من أوضاع في جبهة العراق. وبغية إعادة تنظيم قواتهم انسحب العرب المسلمون إلى الطف وعسكروا فيه، وبذلك تخلوا عن جميع المناطق التي جهدوا على فتحها وبذلوا التضحيات الكبيرة من أجلها حتى لا يؤخذوا على حين غرة[35]. لقد استعدت القيادة العربية الإسلامية في المدينة استعداداً يليق بمستوى أهمية جبهة العراق فقابلت نفير الفرس بنفير عام على لسان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقوله لعماله: «لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي. والعَجَل العَجَل»[36] وقد صدق أحد الباحثين المحدثين بوصفه هذه الظروف الدقيقة التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية حين يقول: «نحن إذن أمام هذه القوى الضخمة التي تتجمع لتصطرع: القوى الساسانية تنتفض انتفاضة الحياة التي تأبى أن تموت، والقوى العربية تدافع عن كيانها الناشيء ودعوتها الممتدة، وهؤلاء وأولئك لا يدعون سبيلاً إلا سلكوه، ولا عدة إلا عتدوا بها، ولا جنداً إلا حشدوه»[37] وكانت معركة مصيرية نظرت إليها القيادة العربية الإسلامية نظرة الجد، وكان العرب المسلمون في أنحاء الدولة العربية الإسلامية يترقبون نتائجها حتى بلغ الأمر بهم أن لا يقطع المرء أمراً إلا بانتهاء معركة القادسية وما ستؤول اليه من نتائج[38]. وهيأ الله سبحانه وتعالى للمسلمين قيادة لا تعرف الفتور والفشل متمثلة بشخص الخليفة العادل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث انتدب القبائل العربية وسيرها إلى جبهة العراق، وكان لقبائل اليمن دور كبير وفعال في هذا الحشد الرائع حيث بلغ تعداد قبائل اليمن فيه ربع الجيش الإسلامي[39]. ونظراً لأهمية الدور العسكري الذي قامت به قبائل اليمن ذكرت لنا الروايات أسماء القبائل، وعدد المقاتلين الذين أسهموا في معركة القادسية، فقد بلغ إسهام قبائل اليمن في

---

(35) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص382.

(36) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص479.

(37) شكري فيصل، المرجع السابق، ص81.

(38) وصل الأمر بالرجل في بلاد الإسلام لا يقطع أمراً حتى يقول: لا أنظر فيه حتى أنظر ما يكون في القادسية. شكري فيصل، المرجع السابق، ص82 نقلاً عن الطبري.

(39) البلاذري، المصدر السابق، ص310.

القادسية سبعة آلاف مقاتل أو دون ذلك. فرواية تذكر أن عدد مقاتلي قبيلتي بجيلة وكندة خمسة آلاف مقاتل[40]. يضاف إلى ذلك مشاركة قبائل الأزد المتكونة من مقاتلي قبائل بارق وكنانة، التي بلغت سبعمائة مقاتل، وسبق لقبيلة خثعم أن اشتركت في القتال مع المثنى بن حارثة. ويؤكد الطبري بأن الصحابي سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) عندما قصد العراق سارت معه قبائل اليمن وتعدادها ثلاثة آلاف مقاتل من قبائل بارق وألمع وغامد وحضرموت والصدفة، يقودهم شداد بن ضمعج، وكان عددهم ستمائة مقاتل[41]. كما توجهت قبيلة مذحج ومعها ألف وثلثمائة مقاتل يقودهم معد بن يكرب وأبو سبرة بن ذؤيب. وسارت قبائل صداد وجنب ومسلية في ثلثمائة مقاتل[42]. كما اشتركت قبيلة السكون بأربعمائة مقاتل[43]، وحضرت قبيلة كندة بقيادة الأشعث بن قيس وعدد مقاتليها ألف وسبعمائة[44]. وجاءت قبيلة همدان يقودها سعيد بن قيس وعدد مقاتليها ألف رجل[45]، وأسهمت قبيلة مراد يرأسها هاشم بن عتبة[46]. ومما تجدر إليه الإشارة أن قبائل اليمن تنتمي إلى شعب ذي حضارة وعراقة في فنون القتال وصناعة الأسلحة، فلا غرابة أن نجد القيادة العربية الإسلامية توليهم ذلك الاهتمام الكبير، وتنيط برجال اليمن البارزين مواقع قيادية في معركة القادسية. فقد تولى شرحبيل بن السمط الكندي قيادة الميسرة وتولى عمرو بن معديكرب الميمنة، وأصبح عبد الله بن ذي السهمين الخثعمي على الركبان، وتولى جرير بن عبد الله البجلي مناصب عسكرية[47]. لقد سبقت المعركة استحضارات

---

(40) محمد بن علي الأهدل الحسني، الدر المكنون في أخبار اليمن الميمون، ط1، مطبعة زهران/ مصر، ص20 نقلاً عن الحديثي، المرجع السابق، ص140.

(41) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص484.

(42) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص485.

(43) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص485.

(44) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص486.

(45) أبو محمد الحسن بن أحمد (ت: 334هـ) الإكليل، ج1، تحقيق: محي الدين الخطيب/ المطبعة السلفية، القاهرة، 1368هـ، ص115.

(46) البلاذري، المصدر السابق، ص314.

(47) أبو حنيفة الدينوري، المصدر السابق، ص121.

عسكرية هيأت مستلزمات النصر، منها يقظة القيادة العربية الإسلامية من كيد الفرس وعدم الانجراف بمغامرة عسكرية قد تؤدي إلى نتائج عسكرية سلبية. فالقيادة العربية الإسلامية المركزية في المدينة كانت واعية لظروف الصراع وخططه، والأمر نفسه بالنسبة للقيادات الميدانية المتمثلة بالمثنى بن حارثة الشيباني وجرير بن عبد الله البجلي والصحابي سعد بن أبي وقاص.

لقد كان الحرص من الجميع خليفةً وقيادات عسكرية ميدانية على تحاشي أخطاء الأمس التي وقعت في معركة الجسر، بل كان هدف المسلمين استدراج الفرس إلى ضفة الفرات الغربية جاعلين من الصحراء خط رجعة إذا حدث حادث بالمسلمين وهو نفس تخطيط المسلمين في معركة اليرموك[48]. كان يقود القوات الفارسية القائد المشهور رستم، وسبقت المعركة مفاوضات ثم بدأ الصدام العسكري الكبير الذي امتد أربعة أيام سمتها لنا الروايات بيوم أرماث وأغواث وعماس وليلة الهرير وهي ليلة القادسية، حيث استمر القتال فيها الليل كله حتى نهار اليوم الثاني حيث دبت الهزيمة في الجيش الفارسي[49]. ويجدر بنا القول هنا أن قبائل اليمن قد قدمت التضحيات الكبيرة من أجل التصدي للقوات الفارسية وخاصة للفيلة. وتعد قبيلة بجيلة اليمنية هي القبيلة التي وقع عليها عبء تحمل ضغط الفيلة والكراديس التي بحمايتها[50]. وقتل القائد رستم وولت فلول القوات الفارسية الأدبار، ووصلت أنباء الهزيمة إلى كسرى يزدجرد الذي لم يعد يحتمل هذه الهزيمة النكراء، فترك المدائن متوجهاً نحو عمق بلاد فارس، ودخلها العرب المسلمون فاتحين وعلى رأسهم الصحابي سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) وهو يتلو قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾[51] [سورة الدخان، الآيتان: 25 و26]، وجاءت العرب المسلمين الأخبار بتحشد الفرس في منطقة جلولاء قام به يزدجرد، فقصده الجيش العربي الإسلامي بقيادة هاشم بن عتبه بن أبي وقاص، وكان عدد الجيش العربي

(48) البلاذري، المصدر السابق، ص255 وما يليها.

(49) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص529 وما يليها.

(50) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص538.

(51) البلاذري، المصدر السابق، ص265.

الإسلامي اثني عشر ألف مقاتل. وكان يعاون القائد هاشم بن عتبه القائدان اليمنيان حجر بن عدي الكندي، وعمرو بن معديكرب، وطليحة بن خويلد على الرجال، وهو من رجالات اليمن، كما أسهم في واقعة جلولاء القائد اليمني جرير بن عبد الله البجلي. وقامت قبائل اليمن بدور فعال في دحر القوات الفارسية وحدث ذلك في أواخر سنة 16هـ[52].

وفر يزدجرد بعد هذه الهزيمة وكاتب أهل فارس وحلفاءهم في الأقاليم المجاورة، فاجتمع له جيش كثير من قومس وطبرستان وجرجان والري وأصفهان وهمدان والماهين، وعيّن على، هذا الجيش القائد مردان شاه، واتخذ من نهاوند موضعاً لهم وعسكروا فيه[53]. وعلمت القيادة العربية الإسلامية بتحشدات الفرس فاتخذ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الإجراءات العسكرية اللازمة لمواجهة هذا الخطر الجديد الذي يهدد الإنجازات العظيمة التي حققها العرب المسلمون في القادسية وجلولاء. وعينت القيادة العربية النعمان بن مقرن المزني قائداً على القوات العربية الإسلامية[54]. وجعل القيادة للجيش العربي إذا حدث بالقائد النعمان المزني حادث لحذيفة بن اليمان، ومن بعده لجرير بن عبد الله البجلي. وكان ثلث أهل الكوفة قد أسهموا في جيش النعمان بن مقرن وأسهمت قبائل اليمن في هذه المعركة، كما كان لقبائل اليمن المقيمة في البصرة حضور فيها. ومنَّ الله على الجيش العربي الإسلامي بالنصر الكبير، وانهزمت القوات الفارسية شر هزيمة، واستشهد القائد النعمان بن مقرن المزني. وتعد هذه الوقعة قاصمة الظهر للدولة الساسانية، حيث لم تقم لها قائمة بعدها أبداً، واعتبرها المسلمون فتح الفتوح، حيث انفتحت الأراضي الإيرانية أمام القوات العربية الإسلامية وتاريخ حدوث هذه المعركة الفاصلة هي سنة 21هـ[55].

---

(52) الدينوري، المصدر السابق ص135 وما يليها.

(53) البلاذري، المصدر السابق، ص300 وما يليها.

(54) السيد عبد العزيز السالم، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة الثقافة الجامعية/ الإسكندرية ص225 حول الاختلاف في تاريخ وقوع معركة نهاوند ينظر البلاذري المصدر السابق ص302 وما يليها.

(55) الدينوري، المصدر السابق، ص166.

رابعاً: قبائل اليمن وبناء البصرة والكوفة:

عمد العرب المسلمون إلى بناء مدن جديدة في العراق تعد بمنزلة معسكرات لإنزال وإقامة الجند وعيالاتهم، وتطورت هذه المدن وأصبحت مركزاً للإدارة العربية الإسلامية، ومراكز حضارية للإشعاع الفكري العربي الإسلامي. وتعد البصرة أول مدينة عربية إسلامية يتم إنشاؤها في العراق، وابتدأ العرب المسلمون في تخطيط البصرة عام 14هـ عندما بدأ المقاتلون العرب بالنزول فيها. وكان أول أمير عربي هو الصحابي عتبة بن غزوان[56]. وتطورت البصرة في عهد الوالي أبي موسى الأشعري الذي عني بشؤونها من عام 17هـ وحتى عام 25هـ. وعند تحديد مواضع نزول القبائل بالبصرة استقرت قبائل اليمن في أماكن خاصة بها. أما عن الكوفة فقد أسسها الصحابي سعد بن أبي وقاص عام 17هـ بين الحيرة والفرات[57]. هذا وتعتبر البصرة أول مدينة عربية إسلامية يشيدها العرب خارج الحدود الجغرافية لجزيرة العرب. وكانت وظيفة المدينة في البدء عسكرية بحتة، إذ كان الهدف من بنائها هو إيواء المقاتلة العرب ومركزًا لانطلاق الحملات العسكرية وتجهيزها اتجاه الشرق.

ومما تجدر إليه الإشارة أن القبائل العربية ومنها قبائل اليمن هي التي خططت للمدينة العربية في العراق، وأن البصرة لم تبن على أنقاض الخريبة. وكان أول من خططها نافع بن كلدة الثقفي[58]. وكان أول الوافدين مع الأمير عتبة بن غزوان من المقاتلين. ويتراوح عددهم ما بين ثلثمائة مقاتل وثمنمائة مقاتل بعد فتح كور دجلة، ولكن مدينة البصرة تطورت أثناء ولاية أبي موسى الأشعري التي دامت من 17هـ إلى 25هـ، حيث افتتحت القوات العربية الإسلامية أصفهان وقم وقاشان، وجذبت هذه الانتصارات أعداداً من المقاتلين، وازداد عدد سكان البصرة. وبناء على ذلك فإن القبائل العربية قد اختلطت في سكناها

---

(56) البلاذري، المصدر السابق، ص274.

(57) البلاذري، المصدر السابق، ص341.

(58) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، بيروت 1969، ص14.

ولم تكن هناك خطط مستقلة بالقبائل الأمر الذي جعل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ينصح أبا موسى الأشعري بأن يجعل لكل قبيلة محلة خاصة بها ويأمر السكان بالبناء[59]. وتأسيساً على ذلك فإن مدينة البصرة تقسمت إلى خمسة أخماس وهي: خمس بني تميم: ويقع هذا الخمس في الناحية الجنوبية من مدينة البصرة، ويضم هذا الخمس محلة بني مثقر، وخطة بني سعد وخطة بني عامر ومحلة بني حمان، وخطة بني مالك وبني عمرو وبني تميم وبني مازن، ويتضمن الخمس القبائل التي حالفت بني تميم[60]. والخمس الثاني هو خمس أهل العالية ويتكون هذا الخمس من قبائل هذيل وخزيمة وقيس عيلان، ومحلة بني سليم، وخطة بني ناجية، ومحلة هذيل، ومحلة بني عقيل، ومحلة بني نمير، ومحلة بني حرام[61]. والخمس الثالث هو خمس بكر بن وائل: ويشتمل هذا الخمس على محلة بني سدوس، وخطة بني عدي بن جشم، ومحلة بني صنيعة بن قيس، ومحلة المسامعة، ومحلة بني شيبان، ومحلة بني عجل[62]. والخمس الرابع هو خمس عبد القيس: ويقع شمال مدينة البصرة ويمتد من دار الرزق وجشر البصرة ويشتمل على محلة بني عامر ومحلة الجارودبين، وخطط ربيعة بن نزار[63]. والخمس الخامس هو خمس الأزد: وينتشر في المنطقة الجنوبية الشرقية من البصرة، ويضم بني مالك بن فهم، والقسامل وبني نصر وبني مازن[64].

أما عن تخطيط وبناء الكوفة، فقد عين القائد سعد بن أبي وقاص شخصاً اسمه أبو المياح الأسدي مشرفاً على إسكان القبائل العربية في الكوفة ضمن

---

(59) خليفة بن خياط العصفري (ت/240هـ) كتاب التاريخ، ج1/ تحقيق سهيل زكار دمشق: 1968 ص160 وما يليها.

(60) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت:255هـ) كتاب الحيوان ج2، عبد السلام هارون/ القاهرة، 1938، ص333.

(61) البلاذري، المصدر السابق، ص342.

(62) الطبري، المصدر السابق، ج5، ص396.

(63) عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية/ جامعة البصرة، البصرة 1986 ص132.

(64) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ) معجم البلدان ج4، تحقيق محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة 1906، ص346.

أسس قبلية وشخصية صرفة. كان موضع استقرار قبائل اليمن في مدينة الكوفة في جانبها الشرقي[65]. وطابع بناء الكوفة يتسم بالصفة العسكرية في بدء البناء. ولكن الكوفة تطورت وبدأت تأخذ شكلها الحضري المديني بعد الانتصار الساحق الذي حققته القوات العربية الإسلامية في معركة نهاوند عام 21هـ. وفيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية لسكان الكوفة عند تخطيطها. فقد بلغ عدد سكان الكوفة في البدء عشرين ألف شخص. وكان عدد أهل اليمن اثني عشر ألف شخص، وقسمت الكوفة إلى أسباع وكان لقبائل اليمن أربعة أسباع، وبقيت ثلاثة أسباع لبقية القبائل من نزار[66]. وحصل اندماج في الأسباع بالنسبة لاستقرار أهل اليمن، مثل اندماج قبائل الأزد وبجيلة وكندة وحضرموت وشبأم وقضاعة في سبع واحد. كما اندمجت قبائل اليمن من حمير وهمدان ومذحج في سبع واحد. كما سكنت مذحج والأشعريين في سبع واحد[67]. وتعد بجيلة أقدم القبائل اليمنية التي استقرت في مدينة الكوفة. وسكنت بجيلة بين همدان من الشمال وتميم من الجنوب وهي أقرب إلى الصحراء. ومن بطون بجيلة أحمس وقتبان وخزيمة ومزينة. وتأتي قبيلة همدان بالمرتبة الثانية وزعيمها سعد بن قيس الهمداني. وسكنت همدان بين بجيلة والميدان، وعرفت بحي أهل العراق. ومن أبرز بطونها السبع وأرحب والثوريين وحاشد وشبأم[68]. وتأتي بالمرتبة الثالثة قبيلة مذحج وأبرز زعمائها عمرو بن معديكرب الزبيدي وإياس بن شرحبيل الجعفي، ومن بطونها مراد وسعد العشيرة[69]. وتأتي قبيلة النخع بالدرجة الرابعة ضمن قبائل اليمن التي استقرت في الكوفة وأسهمت في تطورها، ورئيسها أرطأة بن كعب، وقد استشهد في وقعة القادسية. واصطحبت النخع نساءها شأنها شأن قبيلة بجيلة. ومن أبرز رجالها الذين قاموا بأدوار مهمة

(65) البلاذري، المصدر السابق، ص275.

(66) الطبري، المصدر السابق، ج4، ص49.

(67) الطبري، المصدر السابق، ج4، ص48.

(68) ياقوت الحموي، المصدر السابق ج2 ص294.

(69) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص484.

في حروب الفتح الأشتر النخعي. ومن بطونها المشهورة بنو سعد بن مالك وبنو عوف بن مالك[70]. وتعد قبيلة كندة من قبائل اليمن التي سكنت مدينة الكوفة منذ تمصيرها على يد الصحابي سعد بن أبي وقاص، وزعيم كندة هو شرحبيل بن السمط الكندي من السكون، وشارك في معركة القادسية بسبعمائة مقاتل الأشعث بن قيس الكندي وهو سيد كندة في مدينة الكوفة، واشتهر من رجالات قبيلة كندة القاضي شريح بن هاني وكانت كندة تسكن في سبع بجيلة والأزد وخثعم[71].

الخاتمة:

وبعد فإن البحث سلط الضوء على دور القبائل اليمنية في حروب فتح العراق، وبناء المدن العربية الإسلامية فيه، وعلى الرغم من أن الإسهام الذي قامت به قبائل اليمن في هذه الجهود العسكرية والأعمال العمرانية لم يكن لها وحدها ولم تنفرد بها إلا أن دورها كان كبيراً ومؤثراً من خلال ذلك الحضور الكبير الذي تمثل بوجود المقاتلة من أهل اليمن، وببروز القادة الذين كان لهم إسهامات رائعة في معارك فتح العراق. وتوصل البحث إلى أن أرض العراق قد شهدت جهود أبناء اليمن منذ قدوم طلائع الفتح بقيادة خالد بن الوليد، ثم بتولي المثنى بن حارثة الشيباني لقيادة جبهة العراق، وخلفه أبو عبيد بن مسعود الثقفي في ذلك. وتمكن البحث من مناقشة قدوم القبائل اليمنية نحو العراق وإسهامها في عملية فتحه، على خلاف ما ذكرته بعض الروايات من تردد أهل اليمن في المسير إلى جبهة العراق وتفضيلها جبهة الشام. هذا وإنّ البحث ذكر الشواهد التي تفند هذا الطرح من خلال المعطيات التاريخية التي تؤكد الحقائق التالية: أولاً: أن القبائل العربية في العراق مثل قبائل بني شيبان وربيعة كانت تغير باستمرار على الدولة الساسانية ولا تهاب قوتها، ولقبت قبيلة ربيعة بربيعة الأسد نظراً لشجاعة مقاتليها وشدة تصديهم للفرس. ثانياً: أنّ بني شيبان وعلى رأسهم المثنى بن حارثة الشيباني قد دوخوا الفرس بغاراتهم، ووصلت أبناء أعمالهم

(70) الطبري، المصدر السابق، ج3، ص484.

(71) الطبري، المصدر السابق، ج4، ص48.

العسكرية إلى أسماع القيادة العربية الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وأن المثنى بن حارثة قصد المدينة عاصمة الدولة العربية الإسلامية وتمكن من إقناع الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) لمنحه تفويضاً بكونه قائداً لجبهة العراق. ثالثاً: أن القيادة العربية الإسلامية ومنذ فترة الرسول محمد ﷺ كانت تولي جبهة الشام أهمية خاصة، وبالفعل أرسل الرسول محمد ﷺ حملات عسكرية إلى جبهة الشام، وسارت قيادة الخليفة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على نفس سياسة الرسول ﷺ العسكرية فأعطت الأولوية لتحرير بلاد الشام لأهميتها الجغرافية ولتماسها المباشر مع بلاد الحجاز. وبناء على ذلك فإن قيادة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) حولت جهود خالد بن الوليد من جبهة العراق إلى جبهة الشام، نظراً لحاجة جبهة الشام لحضوره العسكري القدير ولكفاءته العسكرية الكبيرة.

ولا ريب في أن رحيل القائد المظفر خالد بن الوليد من جبهة العراق قاصداً جبهة الشام قد ترك فراغاً لما يمثله خالد بن الوليد من عبقرية عسكرية فذة، تمكنت من إرهاب الفرس، إذ انتصر عليهم في كل المعارك التي خاضها في العراق، ابتداءاً من معركة ذات السلاسل والولجة، وحتى معركة الحيرة وعين التمر.

إن تولي المثنى بن حارثة الشيباني وللمرة الثانية لقيادة الجهد العسكري العربي الإسلامي في جبهة العراق كان اختياراً موفقاً سد به ذلك الفراغ الذي أراد الفرس استغلاله بعد مغادرة خالد بن الوليد نحو بلاد الشام، ونجح المثنى من تفويت الفرصة على الفرس؛ لما يتمتع به من خبرة قتالية ودراية طويلة في قتاله للفرس. ومن هذا المنطلق فإن تعيين قائد جديد من قبل القيادة العربية الإسلامية لجبهة العراق وهو أبو عبيد بن مسعود الثقفي يعد إغفالاً لدور وكفاءة المثنى في حرب الفرس.

وجاءت نتيجة معركة الجسر لتبرهن أن القائد أبا عبيد الثقفي لم يكن من طراز القادة الذين يأخذون برأي أهل الخبرة من القادة الميدانيين، بل من الذين تدفعهم الشجاعة والإقدام دون التحسب لعواقب هذا الاندفاع. وبعد نكسة معركة الجسر تولى المثنى بن حارثة الشيباني وللمرة الثالثة قيادة جبهة العراق

بعد أن نجح في إنقاذ الجيش العربي الإسلامي من كارثة عسكرية محققة.

هذا وركّز البحث على دور الخليفة الحازم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في تعزيز جبهة العراق بالإمدادات البشرية من المقاتلة العرب. وكانت القبائل اليمنية هي أول من استجاب لنداء الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بقيادة جرير بن عبد الله البجلي، ثم توالى توافد القبائل اليمنية على جبهة العراق، فكان انتصار العرب في معركة البويب التي أعادت التوازن العسكري في جبهة العراق، وأزالت آثار نكسة معركة الجسر. وبعد انتصار العرب في معركة اليرموك قررت القيادة العربية الإسلامية في المدينة أن ترمي بثقلها العسكري لتعزيز جبهة العراق، فعينت الصحابي سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) لقيادة جبهة العراق، وهيأت له كل أسباب النصر. وكان لقبائل اليمن حضور كبير في هذا الحشد إذ بلغ تعدادهم في معركة القادسية ربع المقاتلين. وشهدت هذه الملحمة تضحيات أبناء اليمن وهم يتصدون لكراديس الفيلة. وبعد القادسية كان فتح المدائن عاصمة الدولة الساسانية، حيث هرب كسرى يزدجرد. وتوالت الانتصارات في معركة جلولاء ومعركة نهاوند التي سحقت بها حشود الفرس، وآخر جهد عسكري له لوقف التقدم الظافر للقوات العربية الإسلامية. وتعد معركة نهاوند عام 21هـ النهاية الحقيقية للدولة الساسانية، فهي بحق فتح الفتوح، كما أطلق عليها العرب هذا الاسم. ولم يقف دور قبائل اليمن إلى حد الفتح ذلك، لأنها اصطحبت معها النساء والذراري للاستقرار في أرض العراق. وبغية تثبيت فتح العراق تأسست مدينة البصرة والكوفة، فكانت قبائل تميم والأزد أول القبائل العربية التي استقرت في البصرة على نظام الأخماس، ثم نزلت قبائل اليمن في الكوفة عند تأسيسها على نظام الأسباع، فكان لها أربعة أسباع دليلاً على كثرتها. وبقيت ثلاثة أسباع للقبائل العربية الأخرى، حيث استقرت في الكوفة قبائل بجيلة وهمدان ومذحج وكندة والنخع وخثعم، وأصبح لهذه القبائل عبر أبنائها دور مشرف في تطوير هذين المصرين بانتقالهما من مجرد معسكرات لإنزال الجند وانطلاق الحملات العسكرية نحو المشرق، إلى مدن عامرة ومراكز للإشعاع الحضاري والفكري.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأولية

1 ـ القرآن الكريم.

2 ـ أبو حنيفة الدينوري (ت282هـ) **الأخبار الطوال**/ تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي/ ط1/ القاهرة 1960.

3 ـ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت/255هـ) **كتاب الحيوان**/ ج2/ تحقيق عبد السلام هارون القاهرة/ 1938.

4 ـ أبو محمد بن عبد الملك بن هشام (ت/213هـ) **السيرة النبوية**/ ج1/ تحقيق محمد فهمي السرجاني المكتبة التوفيقية/ القاهرة 1978.

5 ـ أبو محمد الحسني بن أحمد الهمداني (ت/334هـ) **كتاب الإكليل**/ ج10/ تحقيق محي الدين الخطيب/ المطبعة السلفية/ القاهرة/ 1368هـ.

6 ـ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: 279هـ) **فتوح البلدان**، تحقيق: رضوان محمد رضوان/ دار مكتبة الهلال، بيروت 1978.

7 ـ أحمد بن يعقوب البغدادي اليعقوبي (ت: 292هـ)، **كتاب التاريخ**، ج2، دار صادر بيروت، بلا تاريخ.

8 ـ خليفة بن خياط العصفري (ت: 240هـ)، **كتاب التاريخ**، جـ1 تحقيق: سهيل زكار دمشق 1968.

9 ـ شهاب الدين أبو عبد الله **ياقوت الحموي** (ت: 626هـ)، معجم البلدان، ج4، تحقيق محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة، 1906.

10 ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، ج3، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، القاهرة 1964.

11 ـ محمد بن علي الأهدل الحسني، **الدر المكنون في أخبار اليمن الميمون**، ط1، مطبعة زهران مصر، بلا تاريخ.

ثانياً: المراجع الثانوية:

1 ـ شكري فيصل، **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول الهجري، ط3، دار العلم للملايين، بيروت 1974.**

2 ـ صالح أحمد العلي، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، بيروت 1969.**

3 ـ عبد الجبار ناجي، **دراسات في تاريخ المدن العربية**، جامعة البصرة، البصرة 1986.

4 ـ السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ الدولة العربية**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية بلا تاريخ.

5 ـ نزار عبد اللطيف الحديثي، **أهل اليمن في صدر الإسلام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1978.

6 ـ خليل شاكر حسين، **الخلافة الراشدة**، دراسة سياسية واجتماعية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة أكس ـ بروفانس، فرنسا 1978.